

الدين وتيقن أنه مع الحياة



بين الأصالة والمعاصرة

39

الدين وتفاعله مع الحياة

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه
بجامعة دمشق - كلية الشريعة

دار المسكيني

الطبعة الأولى
1418 هـ - 1997 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان ، وبعد :

إن الاندفاع وراء المصالح والأهواء الخاصة ، والتأثر بتيارات المادية الهوجاء وما يصحبها من بُعد عن الدين والقيم السامية ، والانجراف في سبيل تُرّهات العصر وزيوفه ، والافتتان بألوان الترف ، وغزو الحضارة الغربية في جانبها العابث الماجن ، هو الذي أدى لحصر مفهوم الدين عند كثير من الناس في زاوايا العبادة ، ودُور العلم والثقافة ، وساحات المساجد ، وفي أذهان فئة قليلة متخصصة بنقل الأمانة إلى الأجيال المتلاحقة .

وهذا يحدونا إلى ضرورة إلقاء الضوء الوهاج - منعاً من الزيغ والانحراف - على كل من مفهومي « الدين والشريعة »

لنتبين إنصافاً للحقيقة واقع الإسلام منها ، أهو بمعنى الدين الشائع بالمفهوم الغربي المنغلق على بعض الشيوخ والعجائز في قيعان الكنائس ، وفي محض فكر رجال الدين ، أم هو بمعنى الدين المرادف للنظام والشريعة ، والذي له الهيمنة الشاملة والسلطان النافذ في أنحاء الضمير والوجدان ، أو القلب والوعي والعقل والسلوك ، بل هو المنهج لكل نواحي الحياة الخاصة والعامة ، وعلى كل الأشخاص ، من غير تفرقة بين حاكم ومحكوم ، وغني وفقير ، وسيد ومسود ، ورجل وامرأة ، وعامل ورب عمل ، وعالم ومحترف .

فصل الدين عن الحياة في الغرب :

لقد فصل الغربيون بسبب الصراع على السلطة ونفوذ بعض الطبقات ، بين الدين والحياة ، وقصروا الدين على التوجيه الروحي للإنسان ، وهناك سبب آخر : وهو معاداة رجال الكنيسة التقدم العلمي والتقني في عصر النهضة الصناعية الكبرى ، وساعد ذلك تأثر الفكر المسيحي بالقيم الروحانية التي دعا إليها السيد المسيح عليه السلام ، محيلاً في نطاق التشريع على التوراة (العهد القديم) ، ومعلنناً تخليه عن

السلطة الزمنية لأهلها : « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله »
فأصبح تقدير المصلحة العامة بأيدي الحكام ورجال الفكر
والفلسفة والاجتماع والقانون .

ظاهرة الدين في بلاد الإسلام :

وأريد للبلاد الإسلامية مع الأسف ، بتأثير الاستعمار
وأجهزة إعلامه ، وعلى أيدي نخبة من المثقفين الذين تثقفوا
في بلاد الغرب ، أن يشيع في أرجاء الإسلام ذلك المفهوم
الغربي للدين ، وهو الصفاء النفسي فقط ، أو النزعة
الروحية ، بممارسة عبادات وطقوس في اماكن العبادة فقط أو
في المنازل فقط .

ثم يقع الشباب في المجتمع فريسة المخططات الصهيونية
العالمية التي تدعو كما هو معروف في « بروتوكولات حكماء
صهيون » إلى تدمير الأخلاق ، وزعزعة العقائد ، وبذر بذور
الشك والقلق والحيرة ، وإضعاف سلطان الدين والرقيب
الداخلي على النفوس ، فتتبدد طاقات الأمة ، وتسهل
السيطرة عليها ، وتفقد هويتها وأصالتها الذاتية . وهذا
ما نعانيه اليوم في مواجهة شبان العصر ومثقفي الزمان ، حيث

إنهم تعقدوا وضاعوا ، ولم يجدوا سبيلاً واضحاً للاعتماد على قيم أو مبادئ ، أو أفكار مسلّمة تنقذهم ، أو يستلهم الواحد منهم منها غاياته وأهدافه وتطلعاته وأفكاره ، وهذا يؤدي بدوره إلى زرع « عقدة النقص » أو الشعور بالتخلف ، أو التمرد والثورة على الأوضاع أحياناً .

عرفتُ هذا بالتجربة والنقاش مع المتعلمين في أعلى مستويات التعليم ، فإذا انضم إلى ذلك جهل الشاب ونقص تكوينه ، وضعف ثقافته ومعرفته بالحياة وبالعالم المشاهد ، رأينا العجائب والغرائب في أفكار النشء ورجال الغد والمستقبل !! .

لم يكن الدين - أي دين سماوي ثابت - يوماً ما قيلاً مضرورياً على الأعناق أو غُلاً تُصَفد فيه الأيدي والأرجل ، لإعاقة الحركة والنمو والتطور وبناء المجد ، وإعلاء صرح العزة وتشبيد مقومات الكرامة الإنسانية ، وتحقيق الغايات الإنسانية المتزنة الحقة .

المعنى السامي للدين :

إن ديناً معناه « الإيمان بذات إلهية ، جديرة بالطاعة والعبادة » يرمز بحق لأعلى مراتب السمو الإنساني ويبدّد من

النفس الشعور بالخوف والقلق والاضطراب ، ويستأصل كل مظاهر الاستعباد والتسلط والهيمنة الظالمة ، ويبني الإنسان من أعماق الداخل ، ويوجد منه أداة طبية وعضواً صالحاً مجاهداً في الحياة ، من أجل إسعاد نفسه وأمته ، هذا هو الدين بمعنى التدين ، أي من حيث هو حالة نفسية .

وكذلك الدين بمعنى النظام أو من حيث هو حقيقة خارجية : هو « جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات الذات الإلهية ، وجملة القواعد العلمية التي ترسم طريقة عبادتها » .

معنى الدين في القرآن :

إنه تجسيد حي للغايات المثلى غير النفعية ، وقد عني القرآن الكريم بمظاهر وحقائق كلا المعنيين لكلمة الدين ، فجاء إيراد « الدين » بمعنى الجزاء ، وبمعنى الشريعة والنظام ، وبمعنى العبادة ، وبمعنى الرابطة الجامعة لجماعة المؤمنين به .

أما كون الدين بمعنى الجزاء : ففيه آيات كريمة كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاحة : ٤] ، ومنها : ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ [الذاريات : ٦] ﴿ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

[الذاريات : ١٢] ﴿ وَقَالُوا يَا بُولُوكُنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الصفات : ٢٠] ﴿ هَذَا نَزَلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة : ٥٦] ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٨٢] ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ - أَي عَلَى الشَّيْطَانِ - اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر : ٣٥] ﴿ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [المدثر : ٤٦] .

والدين بمعنى العبادة : مثل قوله تعالى : ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] ﴿ فَأَقْرَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ [الروم : ٣٠] أي أخلص دينك لله ، وأقبل على الإسلام بهمة ونشاط .

والدين بمعنى الشريعة والنظام والملة المستقيمة : هو السمة الغالبة في القرآن العظيم ، مثل قوله تعالى حكاية لما قال إبراهيم ويعقوب لأبنائهما : ﴿ يَبْنَؤِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] أي اختار لكم دين الإسلام ديناً ، ومثل قوله عز وجل : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] وتؤكدها آية أخرى أصرح منها : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] أي من يطلب شريعة غير شريعة الإسلام بعد بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ليدين بها ، فلن يتقبل الله منه .

ويصف القرآن هذا الدين بقوله تعالى : ﴿ وَذَلِكَ دِينٌ الْقِيَمَةُ ﴾ [البينة : ٥] ويحدد هدف جهاد الأعداء : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] ويعلم الله تعالى إكمال بناء الدين ورضاه بالإسلام ديناً : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ويتم في أواخر القرآن إعلان الانفصال التام بين الإسلام وغيره : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] .

ويأتي الدين أخيراً بمعنى الرابطة الجامعة لجماعة المؤمنين به ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ [الأنفال : ٧٢] أي إن طلبوا منكم النصرة لأجل إعزاز الدين ، والحفاظ على أتباعه والمؤمنين به ، فعليكم أن تنصروهم على أعدائهم ، لأنهم إخوانكم في الدين والإسلام .

مفهوم الشريعة والتشريع :

وأما الشريعة في اصطلاح الفقهاء المسلمين : فهي الأحكام التي سنّها الله لعباده ، ليكونوا مؤمنين ، عاملين على ما يسعدهم في الدنيا والآخرة ، وسميت هذه الأحكام

شريعة ؛ لأنها مستقيمة محكمة الوضع ، لا ينحرف نظامها ، ولا تلتوي عن مقصدها كالجادة المستقيمة ، لا التواء فيها ، ولا اعوجاج ، وذلك يشبه الوصف السابق للدين : ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] أي الملة المستقيمة .

وأما التشريع بمعنى إنشاء الشريعة ، فيطلق على سنّ القواعد ، وبيان النظم ، وإظهار الأحكام وإنشاء القوانين . وفي التزييل الحكيم : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ [الشورى : ١٣] أي وضع قواعد الدين ، وفيه أيضاً : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] ، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعهَا ﴾ [الجاثية : ١٨] ، وفي مجال المقارنة والتمييز بين الشرائع الإلهية ، قال الله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِعةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴾ [المائدة : ٤٨] لكن أصول تلك الشرائع واحدة وغايتها واحدة ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] أي وصيناهم بأن أقيموا الدين الحق - دين الإسلام - الذي هو توحيد الله وطاعته ، والإيمان بكتبه ورسوله ، وبالبعث والجزاء ، قال القرطبي : المراد اجعلوا الدين قائماً مستمراً محفوظاً من غير خلاف فيه ولا اضطراب ، في الأصول التي لا تختلف فيها

الشرعية وهي : التوحيد ، والصلاة ، والصيام ، والزكاة ،
والحج وغيرها ، فهذا كله مشروع ديناً واحداً ، وملة واحدة .

وحدة الأديان في أصولها :

وهذا دليل قاطع على أن الأديان في أصولها الصحيحة
الأولى واحدة المبادئ ، مشتركة الأصول ، منتظمة الغايات
والأهداف ، ذات رسالة إصلاحية حضارية واحدة ، تتركز في
إثبات وتقرير وحدانية الألوهية والربوبية ، وإطاعة الذات
الإلهية ، وإصلاح الأخلاق ، والدعوة إلى الفضائل ، وما
على البشرية إلا أن ينضموا تحت لواء هذه الدعوة الواحدة ،
ويعيشوا في أمان وسلام وسعادة وحب وإخاء .

غاية الدين أو الشرعية :

وبه يتحقق مضمون الشرعية أو الدين بمعناه الغالب في
القرآن ، وتكون مهمة الإسلام الجوهرية إكمال البنية
التشريعية ، وضم الناس وجمعهم تحت لواء واحد ، وربط
الدين بالحياة دون عزلة أو انفصام ، لأن دين الله وشرعه
عقيدة ونظام ومنهج حياة ، ينظم العلاقات الاجتماعية

ويؤصل روابط التعامل ، ولا معنى للدين أصلاً إذا تخلى عن تنظيم الحياة الواقعية ، بتصوراتهِ الخاصة ، ومفاهيمهِ الذاتية ، وشرائعهِ المحكمة ، وتوجيهاتهِ السديدة ، ويصبح قصر مفهوم الدين على العبادة الخاصة لوناً من المسخ أو مبادرة إلى النسخ والإبطال والإلغاء بعد حقبة قصيرة من الزمان .

الغرض من تفاعل الدين مع الحياة :

إن تفاعل الدين مع الحياة سبب لإنقاذ الحياة الإنسانية من التردّي والفوضى والهمجية ، فلا حياة بالمعنى الكريم بدون نظام ، ولا نظام ما لم ينبع احترامه من النفس والاعتقاد والوجدان والضمير ، وهذا ما ألح عليه القرآن الكريم ، مبيّناً غاية الدين الأصيلة ، فقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ . وَأَنَّهُۥ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٤] أي أجبوا دعاء رسوله إذا دعاكم للإيمان الذي به تحيا النفوس ، وبه تحيون الحياة الأبدية ، قال قتادة : هو القرآن فيه الحياة والثقة والنجاة ، والعصمة في الدنيا والآخرة .

مقومات الاستقامة في الحياة :

ولأذكر مثلاً على مقومات الحياة المستقيمة التي يضعها القرآن الكريم منهاجاً للبشرية ، ودستوراً للجماعة الإسلامية في قيامها وتكوينها ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَأْتُمْ عَنْ نَرْزُقْكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَاكِحَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام : ١٥١-١٥٣] .

عبَّرت هذه الآيات عن الأسس التي تقوم عليها شريعة الإله ، الموصوفة بحق بكونها الصراط المستقيم ، وهي إصلاح العقيدة ، وتقويم السلوك الأخلاقي ، وتنظيم المعاملات . فليست أسس الدين مقصورة على المعنى الغربي للدين : وهو المتعلق بالعقيدة الإلهية ، ولا على الوصايا

الأخلاقية التي قد يقرر بعضها الحكماء والفلاسفة ، وإنما تتجاوز هذين الأمرين إلى دائرة التعامل والتبادل في خضم الحياة الصاخبة التي يستमित الناس عادة في تحقيق أكبر ربح أو نفع منها ، لكن سرعان ما تتقوض أركان هذه الحياة إذا لم تعصم بالنظام ، وهو المعبر عن الصراط المستقيم الذي يدعو به المؤمن في صلواته آناء الليل وأطراف النهار : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٦] .

وبنود الصراط المستقيم المذكورة في الآيات السابقة كلها لخير الإنسان ، خصوصاً فيما يباشره يومياً من شؤون الحياة ، فمن عرف حدّه ، وأدى واجبه ، اطمأن إلى نتيجة التعامل ، ولم تهدده الأطماع وصنوف الشراسة والأذى من الناس .

لذا أكدت الأوامر القرآنية على ضرورة التزام جادة الاستقامة ؛ لأنها في الحقيقة خير وأبقى وأمثل وأتم ، وكانت مهمة النبي ﷺ ترغيباً وترهيباً التركيز على مخاطر الانحراف عن الصراط المستقيم ، والتحذير من مغبة الوقوع في المخالفات أو التحايل على نظام التعامل ، روى ابن مسعود رضي الله عنه - فيما ذكره رزين ، وأحمد والبخاري بإسناد حسن - أن رسول الله ﷺ قال :

« ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعن جنبتي الصراط سوران ، فيهما أبواب مُفْتَحَةٌ ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعند رأس الصراط داع يقول :

استقيموا على الصراط ، ولا تَعْوَجُوا ، وفوق ذلك داع يدعو ، كلما همَّ عبد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب ، قال : وَيُنْحِكُ ، لا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ، ثم فسّره فأخبر : أن الصراط المستقيم هو الإسلام ، وأن الأبواب المُفْتَحَةٌ محارم الله ، وأن الستور المرخاة حدود الله ، والداعي على رأس الصراط هو القرآن ، والداعي من فوقه : هو واعظُ الله في قلب كل مؤمن .

والخلاصة : إننا نرفض بشدة قصر الدين على جانب العقيدة ، أو جانب العبادة ، أو جانب الأخلاق الشخصية الطوعية ، وإنما الدين نظام للحياة برمتها ، ولا تنفصل جوانب الدين عن بعضها ، وكلها تتقوى وتتآزر بأجزائها لصوغ حياة رقيقة المستوى ، مزدانة بأبهى الخصائص ، متميزة بكل مظاهر التقدم والاستقامة ، والأسوة الحسنة لشعوب الأرض ، قائمة على عقيدة التوحيد ، والعبودية لله تعالى ، والخلق الكريم ، والمعاملة السوية ، ليتفرغ المجتمع إلى مهامه الكبرى في بناء الشخصية وإثبات الذات .

أسئلة وأجوبة :

حضرة الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي المحترم .

نود أن نطرح عليكم بعض الإشكالات والتساؤلات التي تطرح هنا وهناك في الساحة الإسلامية ، ونأمل أن تفضلوا بالإجابة عنها بما يمكن شباب العالم الإسلامي من الاستفادة من تجربتكم الغنية والطويلة في الدعوة والإرشاد ، والتعليم والتأليف ، والكتابة في مختلف فروع المعارف الإسلامية ، ولكم منا جزيل الشكر ، ونرجو من الله أن يجزئكم خير الجزاء .

السؤال الأول (ظاهرة التكفير) : ظهرت مؤخراً في الساحة الإسلامية مشكلة تكفير بعض المسلمين لبعض آخر منهم ، وقد أدى هذا إلى جدل عريض ، واتهامات متبادلة ، وقد لوحظ في غمرة هذا الجدل غياب البحث في ضوابط التكفير من الوجهة الشرعية ، فما هي ضوابط التكفير وأسبابه ، ومن الذي يملك الحق الشرعي في إطلاق صفة الكفر أو الردة على الناس ؟

الجواب : لا يصح بحال من الأحوال اتهام مسلم يشهد

بالشهادتين بالكفر ، مادام لا يستحل حراماً ، ولا يحرم
 حلالاً ، ولا ينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة (أي
 بالبداية) مثل فريضة الصلاة والزكاة والصوم والحج وتحريم
 الخمر والزنا والربا والسرقه وغيرها من أكل أموال الناس
 بالباطل . ولا يحكم على مسلم بالردة أو بالكفر إلا بالرجوع
 عن دين الإسلام إلى دائرة الكفر ، سواء كانت الدائرة في نطاق
 الكتابيين ، أو في نطاق الملل الأخرى غير السماوية ، مثل
 إنكار وجود الله تعالى ، أو نفي الإيمان بالرسالة أو النبوة
 والرسول ، أو تكذيب رسول ، أو استباحة حرام بالإجماع
 كالزنا واللواط وشرب الخمر وبقية المسكرات ، والظلم ، أو
 تحريم حلال بالإجماع كالبيع والزواج ، أو نفي وجوب
 مجمع عليه ، كنفي ركعة من ركعات الصلوات الخمس
 المفروضة ، أو اعتقاد ما ليس بواجب بالإجماع كزيادة ركعة
 على الصلاة المفروضة ، أو وجوب صوم شيء من شهر غير
 رمضان ، أو عزم على الكفر غداً أو بعده ، أو تردد فيه .

ولا يصح تكفير الدولة لأنها شخص معنوي ، ولا يحكم
 على حاكم بالكفر إلا بإعلان الكفر صراحة ، كما أخبر
 النبي ﷺ : « إلا إن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه حجة

وبرهان » ، أي كفراً صريحاً ظاهراً مكشوفاً .

ولا يحق لأحد إعلان تكفير مسلم إلا برؤيته الكفر الصراح منه ، أو بإعلان قاض عدل ثقة أمين في دينه وعلمه .

لذا لا يقبل من أحد قوله : إن فلاناً كافر أو زنديق أو مرتد ، حتى يقوم الدليل الواضح على كفره . أما مجرد مخالفته غيره في الرأي الذي لا يصادم إجماع الأمة الصريح ، فلا يعد كفراً .

وإذا لم يكن الكفر صراحة يترك الأمر لله عز وجل عالم الغيب والشهادة ، والمطلع على ما في القلوب .

ومن المعلوم أن المرتد تجب استتابته ومحاكمته أمام حاكم أو قاض ، ولا يصح اتهام أحد بالكفر إلا بعد محاكمة على قوله ، أو عبارات كتبه أو مؤلفاته ، منعاً من خسارة مسلم أو التورط في أمر متروك لإدراك حقيقته لله عز وجل .

السؤال الثاني (عن الديموقراطية) : الديموقراطية (حكم الشعب نفسه بنفسه ولنفسه) إحدى المقولات الأكثر شهرة في العالم اليوم ، وقد اختلفت آراء العلماء والمفكرين المسلمين حول موضوع الديموقراطية ، فما هو موقفكم من الديموقراطية ، وهل من بديل لها ؟

الجواب : الديمقراطية التي تعني حكم الشعب بالشعب هو اصطلاح إغريقي قديم ويلتقي نظام الإسلام السياسي مع مبدأ الديمقراطية ، في قيام الإسلام على مبدأ الشورى والعدل والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ، وهذه مبادئ الديمقراطية الإسلامية ، ويخالف الإسلام الديمقراطية في أن التشريع أو التقنين لا سلطان عليه لأحد إلا اتفاق ممثلي الشعب في المجالس النيابية ، فإذا أصدر البرلمان قانوناً مخالفاً لنظام الشريعة ، ظهر التعارض بين الإسلام والديمقراطية ، لكن اغلب ما يصدر عن البرلمانات الحالية قوانين تنظيمية أو إدارية كخطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتربوية ، فمثلاً قانون التأمينات الاجتماعية للعمال والموظفين لا يتصادم مع الإسلام ، وكذا قانون التقاعد وقانون الخدمة العسكرية ، وقانون تطوير الصناعة أو التجارة ، أو الزراعة ، ونحو ذلك مما لا يضر الأمة ، ولا يصادم الشريعة الإسلامية ، فهذه القوانين جائزة ، وتظل هناك فروق ثلاثة بين الإسلام والديمقراطية وهي التي تجعلنا لا نقرها ، وهي :

١- إن الديمقراطية تقترب بفكرة القومية الضيقة أو العنصرية ، وتعتمد على نزعة التعصب أو العصبية ، أما

الإسلام فلا يقر بالانغلاق القومي ، والأمة بمفهومه تعتمد على رابطة العقيدة الإسلامية التي لا يحدها إقليم معين ، أما إذا كانت النزعة الضيقة في الدولة الإقليمية منفتحة متسامحة ، وهي مجرد خطة استراتيجية لتجميع القوى بدءاً بالأخ والجار مثلاً ، فلا مانع منها .

٢- إن هدف الديمقراطية مادي دنيوي بحت ، يقصد منها إسعاد أمة أو شعب بعينه من الناحية الاقتصادية فقط ، أما الإسلام فله هدف مزدوج روحي أخروي ودنيوي مادي ، فيلتقي عنصر الماد والمادة والروح ومنها القيم الإنسانية والأخلاقية لإيجاد المواطن الصالح في الدنيا والآخرة .

٣- إن سلطة الأمة في الأنظمة الديمقراطية مطلقة ، فهي صاحبة السيادة وما يتفق عليه ممثلها يصبح قانوناً واجب النفاذ ، حتى ولو صادم الدين أو الأخلاق ، أو عارض المصالح الإنسانية العامة ، أما سلطة الأمة في الإسلام ، فمقصورة على تقرير الأنظمة التطبيقية في ظل النظام الإسلامي دون مخالفة لأي نظام منه ، وهذا أخطر الفروق ، وهو الذي يجعلنا نقول : إن الديمقراطية بالمفهوم الغربي الحديث أو القديم لا تلتقي مع الإسلام .

السؤال الثالث (عن تجديد الفكر الديني) : يرى بعض المفكرين ضرورة تجديد الفكر الإسلامي ، هل توافقون على هذه الفكرة ، وما هو إطار التجديد الذي ترونه ؟

الجواب : إن بنية الفكر الإسلامي تقوم بصفة دائمة على الإصلاح الجذري والتقدم الشامل في كل شؤون الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وهذا أصول ذات صفة قائمة لا تحتاج لتجديد أو تقويم أو تصحيح .

فإن كان الهدف من تجديد الفكر الإسلامي هو التحرر أو الانعتاق من الأصول الدينية والأخلاقية والإنسانية ، فهذا أمر مرفوض وإن كان الهدف من تجديد الفكر التحرك في إطار شرع الله ودينه لإصلاح اعوجاج الأمة أو المجتمع أو الدولة ، أو من أجل تطبيق النظام الأصوب ، فهذا لا مانع منه شريطة أن يظل التجديد في إطار الأهداف التشريعية الكبرى أو مقاصد الشريعة العامة ، فهذا التجديد من أجل التخلص من أمراض التخلف والتمزق والضياع والتشتت ، ومن أجل إثبات الذات ، والاعتماد على النفس ، والثقة بمقدراتنا ، هو ظاهرة

صحية مقبولة ، أما التجديد الذي يراد به الهدم والتخريب والخروج من مقاييس الدين أو الشريعة فهو منبوذ ، لأنه وإنني سمي تجديداً ، فهو تخريب ، كتجديد تركيا على يد أتاتورك بهدم الأصول الإسلامية ، وفرض العلمانية أو اللادينية ، ومعاداة كل ما هو إسلامي ، فهذا الانسلاخ كفر وردة وخلل في الفكر ، فهو وإن سمي تجديداً فهو تخريب قطعاً .

السؤال الرابع (عن الوحدة الإسلامية) : من المسائل المهمة المطروحة أمام الحركة الإسلامية : مسألة الوحدة الإسلامية ، والتقريب بين المذاهب ، هل ترون إمكانية فعلية لقيام هذه الوحدة ، وما هي التحديات التي تحول دونها ؟

الجواب : الحركة الإسلامية تتطلب ثلاثة أمور :

- ١- الالتزام الواعي بمعطيات الإسلام .
- ٢- العلم الدقيق بمفاهيم الإسلام الصحيحة ومتطلبات العصر الحديث .
- ٣- وحدة الصف الإسلامي .

فإذا قامت الحركة الإسلامية على مجرد العاطفة الإسلامية أو المحبة وحدها دون العلم بأحكام الشريعة كلها ، أو كان

هناك جهل بالإسلام وبظروف العصر ، أو بقي دعاة الحركة الإسلامية ممزقين لاختلافات فرعية أو جانبية ، فإنه لن تنجح هذه الحركة .

وقد أثبتت أحداث الخمسين سنة الأخيرة فشل هذه الحركة لتخليها عن هذه الأصول الثلاثة ، ولا يمكن للحركة الإسلامية أن تقاوم التحديات أو التيارات القوية ضدها إلا بتخطيط دقيق وترشيد سديد ، ووعي صحيح ، ودراسة متأنية لكل تحرك أو اتخاذ موقف إزاء مشكلة معينة .

والتحديات كثيرة خارجية وداخلية ، لأن عداوة الإسلام ومحاولة إبعاد تطبيق شريعته بين الناس لها أصداء على كل شيء من الخارج والداخل .

والتغلب على هذه التحديات يتطلب صبراً وسعة أفق ، وتعاوناً مع كل الجبهات التي تعمل لخير الإسلام والمسلمين .

وإذا لم يتحقق التعاون بين المخلصين للإسلام ، فيصعب التوصل إلى تحقيق النجاح المطلوب .

إنه مع الأسف الشديد أصبح العمل الوحدوي الإسلامي صعب المنال ، وصعب التطبيق بسبب انكماش أو انغلاق الجماعات

الإسلامية في كل بلد على نفسها ، دون تنسيق مع غيرها .

السؤال الخامس (قضية الحوار بين الأديان) : ما هو موقفكم من الدعوة إلى الحوار بين الأديان ، وهل ترون أن لهذا الحوار حدوداً يجب أن يقف عندها ؟

الجواب : لقد اشتركت في ألوان متعددة من الحوار السني الشيعي ، والإسلامي المسيحي ، سواء مع المتممين للكنيسة الغربية أو الكاثوليكية في روما ، أو المتممين للكنيسة الشرقية في مصر وأنطاكية وسائر بلاد المشرق الأرثوذكسي ، وكان الحوار مقصوراً على بعض الجوانب أو المواقف السياسية والدينية من الإلحاد ، والعلمانية الرافضة للدين ، أو الصهيونية في فلسطين ، وقد اتفقنا مع المتحاورين على وحدة القضية المصلحية العربية أو الدينية ضد الإلحاد ، وضد تهويد المناطق العربية في فلسطين .

أما إذا كان الهدف من الحوار الديني استغلال الجانب الإسلامي للاعتراف بصحة ما عليه غير المسلمين من عقائد وأوضاع ، فهذا عمل خائب أو فاشل ، وينبغي الحذر منه .

وإنني مع الحوار في الجانب المناوئ للإلحاد أو المهدد

لمصالح أمتنا وحقوقها في فلسطين وغيرها من البلاد المعتدى عليها .

ولست مع الحوار الذي يعني صهر الإديان وتوحيدها في مفهوم عقدي واحدي ينافي أصول الدين الإلهي الحق القائم على التوحيد الإلهي والعدل والمودة والمساواة ، وإحقاق الحق وإبطال الباطل .

السؤال السادس (عن كلمة التوجيه والنصح) : هل من كلمة تتوجهون بها من خلال جريدتنا^(١) إلى شباب ودعاة المسلمين في العالم ؟

الجواب : كلمتي الخالصة لكل العاملين في الحقل الدعوي الإسلامي أن يتجنبوا الخلافات الجزئية مثل خلاف السلفية ، أو خلاف أهل الحديث ، أو خلاف الأشاعرة والمعتزلة ، أو المذهبية واللامذهبية ، وأن يتجهوا للعمل صفاً واحداً في حقل الدعوة الإسلامية الكبرى في أصول

(١) هي جريدة الوسط الأردنية - العدد ٣ ربيع الأول ١٤١٨ هـ حوار مع فقيه .

الاعتقاد الأساسية ، وتبيان محاسن الإسلام ونزعته الإنسانية المترفعة عن أضرار المصالح المادية ، والعمل على إفهام الآخرين نزعة الإسلام السلمية الخيرة نحو شعوب الأرض قاطبة ، وتبيان الغايات الطيبة للإخاء الإسلامي والفرائض الإسلامية ، وتجنب المحظورات الإسلامية ، فالواجب إذن العناية بالأصول ، وبإدخال الناس في الإسلام ، وإقناعهم به ، وترك الخلاف في الفروع .

إن مما يحز في النفس أن يستعمل سلاح السنة والبدعة لتفجير الداخلين في الإسلام عنه ، وبخاصة في بلاد الغرب وحتى في البلاد الإسلامية ، أما في الغرب فالحسارة محققة حيث يخسر الجانبان ، ويغلق المركز الإسلامي مثلاً كما حصل فعلاً في بعض البلاد الغربية ، وأما في البلاد العربية فالحسارة أيضاً محققة حيث يقوم الشجار والنزاع ويتفرق المصلون من المسجد الواحد ، وقلوبهم متنافرة متحاسدة متباغضة ، لا يصلي أحدهم خلف الآخر ، ولهذا فعلى الدعاة أن يعلنوا إخاءهم على أنهم صف واحد ، وعليهم التزام القرآن وسيرة النبي ﷺ في الدعوة ، وإن الداعية المخلص غير المشبوه هو الذي يجمع الناس على فهم كتاب الله وسنة نبيه ،

ويحرص على رابطة الأخوة الإسلامية ، وحسن الظن
بالمسلمين ، والإحساس الدافئ والقوي بتقوى الله ،
والإخلاص له ، ورقابته في السر والعلن دون تورط في التكفير
وإساءة الظن بالآخرين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

المحتوى

٥	تقديم
٦	فصل الدين عن الحياة في الغرب
٧	ظاهرة الدين في بلاد الإسلام
٨	المعنى السامي للدين
٩	معنى الدين في القرآن
١١	مفهوم الشريعة والتشريع
١٣	وحدة الأديان في أصولها
١٣	غاية الدين أو الشريعة
١٤	الغرض من تفاعل الدين مع الحياة
١٥	مقومات الاستقامة في الحياة
	أسئلة وأجوبة
١٨	الأول: ظاهرة التكفير
٢٠	الثاني: عن الديمقراطية

٢٣	الثالث: عن تجديد الفكر الديني
٢٤	الرابع: عن الوحدة الإسلامية
٢٦	الخامس: قضية الحوار بين الأديان
٢٧	السادس: عن كلمة التوجيه والنصح
٣١	المحتوى

* * *